﴿سورة النازعات﴾

وفيها احدى عشرة مسألة :

المسألة الأولى: بم أقسم الله ﷻ فى أول السورة ؟ وعلام أقسم ؟

الجواب: بدأت هذه السورة المباركة بواو القسم، وما بعدها يكون مجروراً وهو المقسَم به، وقد أقسم الله ﷻ بخمسة صفات وأحوال لجنس واحد من خلقه ألا وهو الملائكة، قال السعدى: (هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره) [١]، وقد ابتدأ القسم بأول حال من أحوالهم، وهو:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)﴾: تكاد أقوال المفسرين تجمع على أن المراد بها حال الملائكة حين تنزع أرواح الكافرين من أجسادهم، فتجذبها بعنف وقسوة حتى إذا كادت روح الكافر تخرج ردتها ملائكة الموت ثانية إلى جسده حتى تعيد نزعها مبالغة فى عذابه وإيلامه، والنزع هو إخراج الروح من الجسد ، ومنهم قولهم عن المحتضر: هو فى النزع الأخير، أما **﴿غَرقا﴾** قال البغوى: (والغرق: اسم أقيم مقام الإغراق، أي والنازعات إغراقاً، والمراد بالإغراق: المبالغة في المد) [٢]، ويتفق هذا التعذيب لروح الكافر وبدنه على السواء مع قول ابن مسعود: (ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة، ومن الأظافير، وأصول القدمين، ويرددها في جسده بعد ما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها، فهذا عمله بالكفار) [٣] وإذا بُشِّر الكافر بعذاب الله وغضبه تفرقت نفسه فى جسده خوفاً وهلعاً فتجذبها الملائكة وتخرجها بشق الأنفس كالغريق في الماء .

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)﴾: هى عكس الأولى فهى حال الملائكة حين تنزع أرواح المؤمنين، فتسلها سلاً خفيفاً وتنزعها نزعاً رقيقاً، وأصل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٩٠٨ .
(٢) معالم التنزيل فى تفسير القرآن ٥/ ٢٠٤ .
(٣) المرجع السابق ٥/ ٢٠٤ .

(النشط) فى لغة العرب قولهم: "نشطت العقال من يد البعير" إذا حللته منه بسهولة ويسر، أما أنشط العقال أى عقده بالأنشوطة قال الفراء: (والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت وكأنما أنشط من عقال، وربطها: نشطها، فإذا ربطت الحبل فى يد البعير فأنت ناشط، وإذا حللته فقد أنشطته) [١] وروح المؤمن إذا رأت مقعدها من الجنة تنشطت للخروج واندفعت له، فتتلقفها ملائكة الموت بيسر وسهولة .

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً (٣)﴾: تنوعت فيها أقوال المفسرين، فمنهم من ذهب إلى أنها خيول المجاهدين، فالعرب تطلق على الفرس السريع "سابح" وذهب البعض إلى أن المقصود بها النجوم والشمس والقمر فكلها فى الفلك سابحة، وقال عطاء: هى السفن التى تسبح فى البحار، وقد تكون كل هذه المعانى صحيحة لكن الأولى حملها على صفات الملائكة لاستكمال صورة القسم وتتمة معناه، وعلى هذا فالسبح هو السرعة ومعنى الآية أن المملائكة تنزل مسرعة من السماء لتنفيذ أمر الله ﷻ .

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً(٤)﴾: هى الملائكة السباقة ، لكنها تسبق أى شئ ؟

قيل: (تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام،قاله مسروق ومجاهد، وعن مجاهد أيضاً: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح، وقيل: تسبق بني آدم إلى العمل الصالح فتكتبه، وعن مجاهد أيضاً: الموت يسبق الإنسان، وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة) [٢].

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً (٥)﴾: قول الجمهور إن المراد بها الملائكة، ومعلوم أن مقادير الأمور وتدبير الأكوان بيد الله ﷻ وحده لا شريك له فى تدبير ملكه ولا منازع له فى حكمه، أما الملائكة فهى تنزل مسرعة لتنفيذ تدابير الله ﷻ فى خلقه، ونسبة التدبير إليها نسبة مجازية لا حقيقية، بل هى منفذة

(١) معانى القرآن ٣/ ٢٣٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩٣ .

لتدبير الله ﷻ، (قال الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربها عز وجل) [١]، ونظائر هذا فى القرآن الكريم كثيرة ، فمن ذلك قوله ﷻعن جبريل – عليه السلام –: ﴿**قُل مَن كَانَ عَدُوا لِّجبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلبِكَ بِإِذنِ ٱللَّهِ**﴾[٢] فنسب النزول إلى جبريل مع أنه ما نزل بالقرآن الكريم إلا بإذن الله ﷻ.

هذا هو ما أقسم الله ﷻ فما المقسَم عليه ؟

تعددت أقوال المفسرين فى المقسَم عليه فذهب البعض إلى أن المقسَم عليه هو قوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبرَةً لِّمَن يَخشَىٰ (٢٦)**﴾ لكن هذه الآية رقم (٢٦) فى السورة أى جاءت متأخرة بعد ذكر المقسَم به من الملائكة وأحوالهم ولذا اعترض على ذلك بعض أهل اللغة كابن الأنبارى، إذ ليس من البلاغة أن يكون الفاصل كبيراً بين المقسَم به والمقسَم عليه، وقيل: جواب القسم ﴿**هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥)**﴾ لأن المعنى قد أتاك، وذهب القرطبى إلى أن جواب القسم مضمر، (كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن، أُضمِر لمعرفة السامعين) [٣] .

المسألة الثانية: ما الراجفة ؟ وما الرادفة ؟ وما الفرق بينهما ؟

الجواب: الأصل فى الرجف الاضطراب، والمراد بها – والعلم عند الله – النفخة الأولى التى يموت فيها الخلق، قال الشوكانى: (وهى الصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب كالرعد)[٤]، ثم تتبعها وتتلوها الرادفة وهى النفخة الثانية التى تكون عند البعث، وسميت الرادفة لأنها تردف أى تتبع النفخة الأولى، قال ابن قتيبة: (يقال ردفته وأردفته؛ إذا جئت بعده)[٥].

وعلى هذا فإن الفرق بينهما أن الراجفة هى النفخة الأولى وتكون

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨ / ٣١٥ .
(٢) سورة البقرة / من الآية ٩٧ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩٤ .
(٤) فتح القدير٥/ ٣٧٤ .
(٥) غريب القرآن ١ / ٥١٢ .

للموت، والرادفة هى النفخة الثانية وتكون للبعث .

المسألة الثالثة: ما المعنى المراد من قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ (١٤)﴾ ؟

الجواب: جاءت هذه الآية لتبين إنكار المشركين للبعث، وتعجبهم من الحياة بعد الموت وفناء أجسادهم فى الحافرة أى القبور المحفورة بعد أن صاروا عظاماً بالية وأشلاء ممزقة، فبينما هم على ذلك إذ جاءهم الموت فماتوا ثم أحياهم الله ﷻ **﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ(١٤)﴾** أي: إذا هم على وجه الأرض أحياءً بعد أن كانوا فى بطنها أمواتاً، وهذه الأرض هى أرض المحشر، (وهي لا تعد من هذه الأرض وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يهراق عليها دم) [1]، ولو أراد الله ﷻ أرضنا هذه لعبر عنها بالأرض لكنه ﷻ سماها الساهرة إشارة إلى اختلافها عن أرض الدنيا؛ فهى أرض وصفتها آيات أخرى فى الكتاب العزيز بالاستواء والامتداد، وخلوها من الجبال والمنخفضات .

المسألة الرابعة: ما الوادى الذى نادى الله ﷻ فيه موسى؟ وأين يقع؟

الجواب: نادى الله ﷻ نبيه موسى – عليه السلام – فى وادٍ وكلمه فيه، ولذا سُمى موسى بالكليم، والوادى هو المنخفض بين جبلين، وقد وصفه الله ﷻ بأنه واد مبارك مقدس أى مُطهر، ولذلك اختاره الله ﷻ مكاناً ليكلم فيه نبيه واسم هذا الوادى "طوى" فهو واد مقدس اسمه "طوى"، ويقع فى سيناء بمصر، وهو معروف عند سكانها .

المسألة الخامسة: ما معنى اسم "فرعون" ؟ وما الفرق بين "فرعون موسى" و"ملك مصر" فى قصة يوسف " ؟

الجواب: استخدم القرآن الكريم لفظ "الفرعون" فى حق من حكم مصر من أبنائها، أما حين تتعرض مصر لاحتلال خارجى ويحكمها رجل من

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨ / ٣١٦ .

غير أبنائها فإن القرآن الكريم يسميه بالملك، كما هو الحال مع فرعون موسى وهو من أبناء مصر، أمامن كان يحكم مصر وقت قدوم يوسف – عليه السلام – إليها فهم الهكسوس الملوك الرعاة المحتلين، فعبر القرآن عن حاكم مصر وقتها بالملك.

وفى هذا دلالة على إعجاز القرآن التاريخى ودقته اللغوية فى استعمال الألفاظ .

ولفظ "فرعون" مأخوذ من اللغة المصرية القديمة، وهو مكون من كلمتين: " فر" وتعنى: القصر الضخم أو المبنى الفخم، و"عون" وتعنى: العظيم، ففرعون أى عظيم القصر، وتلك عادة الفراعنة فى اتخاذ القصور والتفنن فى البناء الشاهق كما يدل على ذلك آثارهم ومعابدهم التى خلفوها.

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد هوية الفرعون الذى أُرسِل له موسى، وإن كان هذا الأمر لا يشغلنا فما نزل القرآن الكريم ليكون كتاب تاريخ، ولا ساق القصة فيه لإشغال الناس بتفاصيل دقيقة، المعرفة بها لا تنفع، والجهل بها لا يضر.

بيد أن هناك ملمحاً فى قصة فرعون تحسن الإشارة إليه، وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين وعلماء الآثار من أن جثة فرعون المحنطة فى المتحف المصرى بالقاهرة، هى جثة فرعون موسى، وأنها محفوظة بشكل كامل، حتى أنك ترى فيها شعرها وأظفارها، وقد قرأت أن هناك عينات أُخِذت من هذه المومياء المحنطة وتم تحليلها فى معامل أجنبية لتعطى النتائج مؤشرات على وجود أملاح فى الجثة تمت مطابقتها بأملاح البحار فانطبقت على أملاح مياه البحر الأحمر ، فضلاً عن أن (اكتشاف كسور فى بعض عظامها، من غير أن يكون فيها جروح فى الجلد، مما يدل على أن الكسر فيها كان نتيجة ضغط المياه عليه عند غرق صاحب الجثمان، وقد ذكر الله ﷻ فى ذلك آية معجزة، فقال: **﴿فَٱلۡيَومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ**

لِمَن خَلفَكَ ءَايَةً﴾[1]، فبعدما غرق فى البحر، وأماته الله ﷻ قذفه البحر إلى الشاطئ، فأخذه أتباعه وحنطوه، وبقى بأمر الله ﷻ إلى يومنا هذا ليكون لمن خلفه آية) [2] .

المسألة السادسة: أشارت آيات قصة موسى إلى أدب يجب أن يتحلى به الدعاة، فما هو؟

الجواب: تُعلِّمنا آيات قصة موسى التى وردت فى سورة (النازعات) أدباً رفيعاً فى بذل الدعوة وتقديم النصيحة للناس مهما كانت درجة إعراضهم وشدة عداوتهم، فإن الواجب على الداعية ألا يستعلى علي الناس ولا يأمرهم وينهاهم، بل يتبع في نصحه أسلوب الحث والحض بدلاً من الأمر المباشر، فإن النفوس قد جُبلت على حب الإحسان والبعد عن التسلط والأوامر .

ولينظر الداعية الناصح إلى أمر الله ﷻ لنبيه موسى – عليه السلام – لما أرسله إلى فرعون وأمره بأن يخاطبه باللين وأن يدعوه بالإحسان، وهو ما أوضحه قوله ﷻ: **﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (١٨) وَأَهدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخشَى(١٩)﴾**، قال صاحب الظلال: (فعلمه الله كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب وأشده جاذبية للقلوب لعله ينتهي ويتقي غضب الله وأخذه)[3]، فلم يأمره موسى بالتوحيد أمراً صريحاً، بل عرضه عليه عرضاً رقيقاً مع أنه طاغية من أظلم الطواغيت لنفسه ولشعبه.

وقد علَّق ابن القيم في كتابه (التباين في أقسام القرآن) على ما في هاتين الآيتين من لين الخطاب، أنقله بطوله لما فيه من الفائدة، قال: (ثم أمره أن يخاطبه بألين خطاب، فيقول: **﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (١٨) وَأَهدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخشَى(١٩)﴾**، ففي هذا من لطف الخطاب ولينه وجوه:

---

(١) سورة يونس / من الآية ٩٢ .
(٢) راجع إشراقات قرآنية، سلمان العودة، ص٩٩ بتصرف، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ.
(٣) في ظلال القرآن ٧/ ٤٤٤ .

الأول: إخراج الكلام مخرج العرض، ولم يخرجه مخرج الأمر والإلزام، هو ألطف، ونظيره قول إبراهيم لضيفه المكرمين: ﴿**قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**﴾[1]، ولم يقل: " كلوا ".

الثاني: قوله: ﴿**إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ**﴾، والتزكي: النماء والطهارة والبركة والزيادة، فعرض عليه أمراً يقبله كل عاقل ولا يرده إلا كل أحمق جاهل.

الثالث: قوله: ﴿**تَزَكَّىٰ**﴾ ولم يقل: أزكيك، فأضاف التزكية إلى نفسه، وعلى هذا يخاطب الملوك.

الرابع: قوله: ﴿**وَأَهدِيَكَ**﴾؛ أي:أكون دليلاً لك، وهادياً بن يديك، فنسب الهداية إليه، والتزكى إلى المخاطب؛ أي: أكون دليلاً لك وهادياً، فتزكى أنت، كما تقول للرجل: هل لك أن أدلك على كنز تأخذ منه ما شئت؟ وهذا أحسن من قوله: " أعطيتك ".

الخامس: قوله: ﴿**إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾، فإن في هذا ما يوجب قبول ما دل عليه، وهو أن يدعوه ويوصله إلى ربه: فاطره وخالقه الذي أوجده، ورباه بنعمه: جنيناً، وصغيراً، وكبيراً، وآتاه الملك، وهو نوع من خطاب الاستعطاف والإلزام: كما تقول لمن خرج عن طاعة سيده: ألا تطيع سيدك ومولاك ومالكك، وتقول للولد: ألا تطيع أباك الذي رباك .

السادس: قوله: ﴿**فَتَخشَىٰ**﴾؛ إذا اهتديت إليه وعرفته خشيته؛ لأن من عرف الله خاف، ومن لم يعرفلم يخفه، فخشية الله مقرونة بمعرفته، وعلى قدر المعرفة تكون الخشية.

السابع: أن في قوله: ﴿**هَل لَّكَ**﴾ فائدة لطيفة، وهي أن المعنى: هل لك في ذلك حاجة أو إرب؟ ومعلوم أن كل عاقل يبادر إلى قبول ذلك؛ لأن الداعي إنما يدعو إلى حاجته ومصلحته؛ لا إلى حاجة الداعي، فكأنه يقول: الحاجة لك، وأنت المتزكي، وأنا الدليل لك، والمرشد لك إلى أعظم مصالحك) [2] انتهى كلامه .

---

(١) سورة الذاريات / آية ٢٧.
(٢) التبيان فى أقسام القرآن، ص ٨٨.

المسألة السابعة: علام يعود الضمير (ها) فى قوله ﷻ: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا (٣٢)﴾ ؟

الجواب: لما تعرض المفسرون لقوله ﷻ **﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا (٣٢)﴾** أرجعوا الضمير إلى الجبال فكانت عملية الإرساء تتعلق بالجبال على أساس أن الضمير في العربية يعود على أقرب اسم إليه، وانطلاقاً من ذلك فقد فهموا من الآية الكريمة معنى تثبيت الجبال في الأرض، فالجبال هى التى أُرسيت وثُبِّتت فى الأرض حتى لا تقع ولا تسقط .

لكن المتأمل فى الضمير يجده قد ورد فى هذه الآيات أربع مرات كلها تعود على الأرض،**﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا (٣٢)﴾** فيكون المعنى هنا: وبالجبال أرساها، فالأرض قد أرسيت وثُبِّتت بالجبال، بينما المعنى الأول يتعلق بإرساء الجبال على سطح الأرض، والمعنيان صحيحان صحة كاملة حسب معطيات علوم الأرض الحديثة؛ فالجبال مثَبِّتة ومُثبَّتة، فقد ثبتها الله في الغلاف الصخري للأرض، وهي أيضاً مثبتة للأرض كى لا تميد وتضطرب، فالأرض تدور بسرعة كبيرة تتجاوز الـــ ١٦٠٠ كيلومتراً في الساعة، وعند هذه السرعة يختل توازن الأرض ولكن الجبال لها جذور تمتد لأكثر من خمسين كيلو متراً في الأرض، وهذا يعني مزيداً من التثبيت والإحكام لطبقات الأرض، لذلك فإن الله ﷻ قد أرسى هذه الجبال لنستمتع باستقرار الأرض، فقال ﷻ: **﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا (٣٢)﴾.**

وهنا لا بد أن يأتى السؤال: مَن الذي جاء بهذه الحقائق العلمية قبل أربعة عشر قرناً؟ أليس هذا دليلاً على صدق كتاب الله ﷻ ؟

المسألة الثامنة: هل نفهم من قوله ﷻ: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)﴾ أن خلق السماء سابق لخلق الأرض؟

الجواب : الحقيقة أن هذه الآية قد أحدثت إشكالية عند البعض فيما يتعلق بأسبقية خلق السموات والأرض فهناك آيات فى القرآن تبين أن

الأرض قد خُلِقت قبل السماء، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلأَرضِ جَمِيعا ثُمَّ ٱستَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّهُنَّ سَبعَ سَمَٰوَٰت وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيم٢٩**﴾[1] ولكن هذه الآية تكلمت عن السماء وبنيانها ثم قال الله ﷻ: ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)**﴾ فهذا مما يحدث الإشكال .

لكن الإشكال يندفع بكلام حبر الأمة ابن عباس الذى أورد الطبرى فى تفسيره، قال: (عن ابن عباس قال حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خَلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك)[2]. ومعنى ذلك أن الله خلق الأرض قبل السماء غير مدحوة ثم خلق السموات ثم بعد ذلك دحا الأرض، ومعنى دحاها أى يسر الانتفاع بها بمدها وبسطها، وإخراج الماء منها، وإنبات المرعى فيها، وإنبات النبات يحتاج لليل والنهار ولذا فإن الله خلق الأرض، ثم خلق السموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، قال ابن عباس: (ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار) [3] .

المسألة التاسعة: لم سمي يوم القيامة بالطامة ؟ وما معناها ؟

الجواب: (الطامة) فى لغة العرب هى الداهية العظيمة التى لا دافع لها، قال ابن الجوزى: (وفِي الحَدِيث مَا من طمة إِلَّا وفوقها طمة، يَعْنِي: داهية عَظِيمَة) [4] .

وقد سُميت الساعة بالطامة إذ لا مصيبة تفزع قلوب الكفار وتذهب عقولهم مثلها، إذ تعرض عليهم أعمالهم ويوقنون بالهلاك، ويرون النار بارزة أمام أعينهم، فلا مصيبة أدهى من مصيبتهم، ولا ندم أعظم من ندمهم .

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٩.
(٢) جامع البيان فى تأويل آى القرآن ، ٢٤ / ٢٠٨.
(٣) المرجع السابق ، ٢٤ / ٢٠٨.
(٤) غريب الحديث، ٢/ ٤٠ ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥ ه ، ١٩٨٥ م .

المسألة العاشرة: ما الدرس الذى يشير إليه قوله ﷻ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكرَٰهَا (٤٣)﴾ ؟

الجواب: هذه الآية نزلت رداً على المشركين الذين كانوا يسألون الرسول ﷺ عن موعد قيام الساعة وهو سؤال سخرية واستهزاء، واستبعاد لوقوعها. فأجابهم الله ﷻ بقوله: **﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكرَٰهَا (٤٣)﴾** أى: لست يا محمد معنياً بميعادها، ولامسئولاً عن وقتها فعلمها عند الله ﷻ، وإنما دورك إنذار الناس بها .

لطيفة يحسن الوقوف عندها :

فيما قررناه آنفاً درس لنافى الانشغال بعظائم الأمور وترك الجدال الذى لا ينفع، وطلب الأهم قبل المهم، وفيه كذلك تنبيه على المعلم والمفتى أن يصرف سؤال المستفتى الذى لا فائدة منه؛ ولا طائل من جوابه إلى جواب مسألة أخرى أهم، وهذه قاعدة قرآنية عظيمة الفائدة، حيث نجد القرآن الكريم يسوق من الفتاوى ما فيه نفع الناس وإفادتهم، ويُعرض عما لا يفيد، بل يجيب عن سؤال غير مفيد بجواب له فائدة حتى وإن لم يكن له تعلق بالسؤال المذكور، كما حوت سنة الرسول ﷺ الهدى ذاته فى أكثر من موضع، ولذا لما سئل ﷺ عن الساعة قال للسائل: " ما أعددت لها؟ "[1]ولم يجبه عن سؤاله، بل أعرض عن الجواب إلى غيره مما فيه فائدة عملية للسائل، ودفعاً له للانشغال بالاستعداد والإعداد لها بدلاً من الانشغال بتوقيت مجيئها.

المسألة الحادية عشرة :ما الدرس المستفاد من قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَومَ يَرَونَهَا لَمۡ يَلبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَو ضُحَىٰهَا (٤٦)﴾ ؟

الجواب: تشير الآية الكريمة إلى قِصر الدنيا وتفاهة عقل من تعلق بها، فإن المرء يولد وينشأ ويسعى فى الأرض ويفنى عمره فى أمور الدنيا

(١) صحيح البخارى، ٢٢٨٣/٥، ورقمه ٥٨١٩ ، باب "علامة الحب في الله عزوجل"، وأخرجه "مسلم" في كتاب "البر والصلة والآداب" باب "المرء مع من أحب"، ٢٠٣٢/٤، ورقمه ٢٦٣٩.

وملذاتها ثم يموت، وعندئذٍ تنكشف حقيقة الدنيا ووضاعتها، وقلة أمرها وخستها، وأن الأعوام التى ظنها العبد فى الدنيا طوالاً إذا قيست بعمر المكث فى القبور والبعث والنشور والعرض والحساب فكأنها وقت العشى وهو آخر النهار، أو وقت الضحى وهو أوله .

فيا خسارة من أضاع العمر الأبدى، والزمن السرمدى فى الآخرة، بساعة لذة فى ليل الدنيا، أو معصية فى نهارها، ثم يموت فتذهب عنه لذة معاصيه، وتبقى أوزارها فى كتابه، فيندم وقت العرض ولكن لا فوت، فياليت العبد ادَّكر، وأخذ من الفانية للباقية، وصبَّر نفسه الأمارة على مشقة الطاعة وقتاً يعادل العشى أو الضحى ليربح بعدها الدوام التام فى جنات عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.